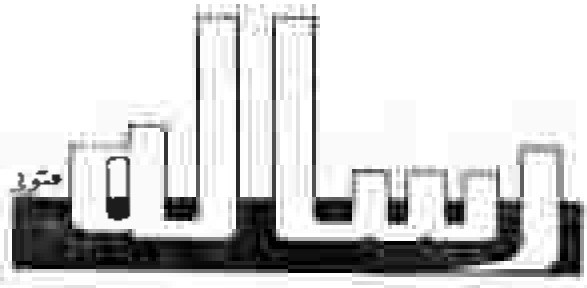

بقلم: ابو المعاطي ابو النجا

في تلك الليلة كان ، سمير مصمما على ان يكتب هذه الرسالة جلس الى مكتبه ، أخرج ورقة متوسطة الحجم ، ثم طلب من زوجته ان تسرع له بقدح القهوة ، وأشعل سيجارة راح يتأمل دخانها وهو يتلاشى ببطء في جو الحجرة الراكد ..

وقعت عيناه على مجلة « الفكر » التي أحضرها اليوم فقط دون ان يفتح غلافها ، فكر أن يتسلى بتصفحها الى ان يفرغ من قهوته ولكنه قاوم تلك الرغبة بعناد ، ففي مرات كثيرة سابقة اعترم كتابة هذه الرسالة ، وكان يبدأ عادة بتصفح كتاب أو مجلة ثم تنتهي الليلة مع الكتاب او المجلة ، ثم يرجيء الرسالة الى الغد .. ! ولكنه مصمم على الا يفعل شيئا في هذه الليلة قبل أن ينتهي من كتابة تلك الرسالة .. ! انه لا يصدق أنه يحاول منذ خمسة أعوام ان يكتب تلك الرسالة ... ومع ذلك فهذه هي الحقيقة ، ولكنها ليست الحقيقة كاملة ، فالرسالة التي سيكتبها الليلة تختلف تماما عن تلك التي كان يحاول كتابتها منذ خمسة أعوام لن تزيد رسالة الليلة عن سطور قليلة ،

وهذا ما قرره أخيرا ليحسن أن يفرغ من كتابتها الليلة ... أما الرسالة القديمة فقد كان يعد لها خمس صفحات على الأقل ... كان يريد خلالها أن يسأل نفسه وصديقه أيضا ... كيف أمكن أن يحدث هذا الشيء الفظيع ؟ كيف مضى عام كامل دون أن يتبادلا رسالة واحدة ؟؟ مع أنهما ظلا طوال سنى الدراسة الثانوية والجامعية لا يفترقان !! كان يريد أن يبرر موقفه، وأن يعاتب صديقه لأنه لم يكتب له أيضا ... ووقتها كان يميل الى أن يلتمس لصديقه عذرا ... فقد كان هو أحس خطأ منه حيث أتيح له بعد تخرجه ان يجد عملا في احدى الصحف اليومية ، بينما عمل صديقه في مدينة « س » !!

لا يزال يذكر هذا اليوم !! كانا متضايقين رغم ما احسسا به من مرارة لأنهما سيفترقان ... ومع ذلك فلم يسمح واحد منهما لهذا الشعور بالمرارة أن يظهر في حديثه أو حتى في ملامحه

وكان في اعترافهما بتلك المرارة اعتراف بالخوف على صداقتهما واعتراف

بصحبتها في نفس الوقت ... لقد صمدت خلال أعوام طويلة لكل ما يمكن أن يحدث في حياة شابين يجتازان مرحلة المراهقة الى الشباب ... كانا يتنافسان على كل شيء على الفور في المسابقات الأدبية ، وعلى الفور باحدى الزميلات وعلى الفور بحب الأدباء الكبار اللذين كانا يعبدان لهما ... وكانا يصطدمان ، ويتخاصمان ، ويبكيان أحيانا بالدموع ، وفي النهاية كان كل شيء يذهب ... وتبقى صداقتهما ... كان يربط بينهما شعور خفي بأنهما وحدهما متفوقان على كل من عداهما من الزملاء ، بحيث لم يجد أحدهما في غير الآخر ندا لصداقته وكان هذا الشعور الغامض بأن أحدهما لن يفهمه غير صاحبه يدفعهما احيانا لكي يضاربا بتلك المشاعر المعقدة التي يمكن أن يحس بها أي صديقين حيال بعضهما ، والتي يحرصان في نفس الوقت على اخفائها! يندفعان الى ذلك تحت وطأة ذلك الاحساس الغريب بالتفوق ، وكأنهما يتحدثان عن شخصين آخرين لا يمتان لهما بأية صلة ، وكما يتحدثان عن شخصيات الروايات ... وكان شعارهما في تلك المرحلة ، تعبر عنه تلك العبارة التي يرددانها أحيانا بسرة ثقة واعتداد ، يبدو أن الناس جميعا يتآمرون ضدنا بطريقة ما لكي تبقى أصدقاء الى الابد فهم لا يفعلون أكثر من انهم يجعلونني أكتشف دائما كيف أنك افضل منهم » .

وحين افترقا ... لم يدر بخلدهما للحظة انهما يمران بلحظة حاسمة في حياتهما فبعد أسابيع قليلة كتب « سمير » أول رسالة الى صديقه « هـ » حاول خلالها ان يقنع نفسه وصديقه بأن شيئا في حياتهما لم يتغير لم يتغير بكلمة واحدة الى أنهما بعيدان عن بعضهما ... كان يتوقع منه في بساطه وحول أشياء عادية كتلك التي كانا يتحدثان عنها حين يلتقيان في البيت أو المقهى ... وجاء رد صديقه « هـ » بنفس اللهجة والاسلوب وبدا كأنه مقتنع تماما بأنه لم يفترق عن صديقه ، ثم انقطعت الرسائل ... هكذا دون مقدمات ... !

في البداية لم يشرع « سمير » لذلك ... كانت حياته الجديدة قد بدأت تشغله ... وتملأ كل دقيقة بالعمل والأصدقاء والمواعيد وفي الليل يتلقفه الفراش جثة هامدة ، ودائما ... في نهاية كل شهرة ... كانت الجثة الهامدة تذكر « هـ » !

وكان يفكر أنه يجب ان يكون عمليا حتى في صداقته مع « هـ » كان يريد ان يدعم مركزه في الحياة الادبية ليقف على قدميه أولا ، ثم يمد يده الى صديقه ... فهذا هو ما يحتاجه « هـ » حقا وليس مجرد خطاب يترثر فيه عن اي شيء !!

ولم يفكر مرة واحدة في الوقت الذي يمكن ان يحتاجه لكي يدعم موقفه في الحياة الادبية ... ويبدو كما لو أنه خدع في طبيعة هذا الوقت ، أو على الأقل في فهم تلك العبارة الغامضة « تدعيم موقفه » فمتى يشعر شخص ما بأن موقفه أصبح مدعما في امر من الأمور ؟؟

وفي الحقيقة أن أهم ما اكتشفه سمير مع الوقت كان هو سخافة أفكار كثيرة

كان يؤمن بها ، بدأ يدرك ســـخافة تلك الفكرة القديمة عن امتيازه وتفوقه فقد رأى أنه لا توجد في ذهن الناس صورة واحدة لمعنى الامتياز !!

وانه مهما تكن تلك الصـــورة فمن المهم جدا أن يقتنع الآخرون بذلك قبل ان يقتنع هـــو به ... ! وأن فكرة الصديق الواحد بدت هي الاخرى أكثر سذاجة وسخفا ، وأن عليه لكي يدعم موقفه ، أن يعرف أناسا كثيرين ، وانه يمكن ان يكون بالنسبة لبعضهم نصف صديق أو أقل أو اكثر ، وان هـــذا ضروري جدا اذا ما أراد أن يصنع تميثا لنفسه أو لصديقه ... !

وذات ليلة اكتشفت الخطة الهـــامدة ـ وهي تلقي بنظرة على نتيجة الحائط ـ انه قد مضى عام كامل على آخر رسالة تلقاها من صديقه « هـ » ... في تلك الليلة لم تنم الخطة ، وأيضا لم تنجح في كتابة رسالة الى « هـ » ... ليلتها فكر « سمير » انه يجب ان يصـــارح صديقه في رسالة طويلة بكل التغيرات التي حدثت في افكاره ولكنه ـ ولأول مرة ـ وجد نفسه يخشى مصارحته !

بالتأكيد ان في هذه المصـــارحة ما يمكن ان يمس شعور صـــديقه وكبريائه ، وهو هناك وحيد وبعيد في مدينة « س » !!

ولأول مرة أحس بالأسى من أجل صديقه ... ولكنه فكر أنه لا بد أن يكتب له ، وأن يكون رقيقا وليقـــا ، بحيث يوضح له أن هذه القطيعة لم تكن أبدا بين قلبيهما ، وأن يعاتبـــه بصورة ايضا على عدم كتابته ، حتى لا يدعه يحس لحظة واحدة بطعم الأسى في حطابه ، ولكن كتابة مثل هـــذه الرسالة تحتاج وقتا لا يكون فيه سمير مجرد جثة ... ! وقتا طويلا وهادئا يتنزعه من العمل والأصدقاء والمواعيد !

في تلك اللحظة دخلت روحته تحمل قدح القهوة ، والقت نظرة على الأوراق التي أمامه :

ـ ماذا ستكتب ؟

ـ رسالة .

ـ والقصة المطلوبة بعد غد ... !

ـ سأكتبها غدا .

ـ يوم واحد لا يكفي .

ـ سأبدأ فيها بعد كتابة الرسالة ...

وخرجت « عايدة » ، واختفى خلف الباب الذي أغلقتـــه « الروب » الأنيق الذي يلف جسدها نباتات من الورد بدت وكأنها تنتمي على جسدها العصير ... الغريب انه في صباح تلك الليلة التي قرر فيها أن يكتب رسالة طويلة لصديقه اكتشف وجود « عايدة » التي كانت تعمل معه في نفس الصحيفة ، والتي كان يراهـــا كل يوم ويتحدث معها ، ويردد مع زملائه أنها صـــاحبة أجمل عينين ... اكتشف في هـــذا الصباح معنى جديدا لوجودهـــا ... لقد قالت له ...

ـ لم تحضر منذ يومين .

ـ كنت متعبا ، اعتقدوا جميعا ، الجو متقلب هذه الأيام انتبهت عايدة ولمعت عيناها وهي تقول

ـ انت الوحيـــد الذي بدأت تصيف هنا ... كنت ترتدي القميص طوال الاسبوع الماضي ، وجئت هنا مرتين في الليل بنفس القميص ... !

ـ هذا صحيح ... لو كانت أمي تعيش معي ما تركتني أفعل ذلك !

ـ تعيش وحدك اذن ؟

ـ وحدي بكل ما في هذه الكلمة من معنى ... !

بعد هذه الكلمات لم يعد « سمير » يشعر بأنه وحيد ، ولم تعد « عايدة » مجرد زميلة يراهـا كل يوم ... ! اصبحت كل شيء في حياته ، كيف لم يحس قبل هذه اللحظة بأنها كانت تهتم به ؟ وبأنه يحمل لها في قلبه ـ دون أن يدري ـ كل هذا الحب ...

ودون أن يدري أيضـا ، وجد كل شيء في حياته يستهدف عايدة ... العمل والنجاح ... وحتى الرسالة الطويلة التي أراد أن يكتبها لصديقه فكر ان تصبح « عايدة » موضوعهـا الوحيد وماله من موضـوع يحمل في طواياه ارق اعتذار عن هذه القطيعة انه احمل الف مرة من ذلك الخطاب الرقيق القلق الذي كان من الجائز ان يعقـد في بعض سطوره شيئا من لياقته فيمس شعور صديقه !!

ولكل قصة حب لعايدة كانت كأي قصة حب في العالم تخضع لهذا الايقاع الذي يتردد دائما بين السعادة والألم ، وفيهـا تلك الحيرة العذبة المعذبة التي لا تدع صاحبها يستقر على حال ، والتي تدفع به أحيانا الى أن يتحدث عنها مع أقرب صديق وليس في رسالة طويلة لصديق بعيد ، لا يدري مدى استعداده لسماع هذيان انسان يحب ، صـديق لا يرد لهفته بكلمة سريعـة أو حديث طويل ... !

وفكر انه من الأنسب أن تتحـول الرسالة الطويلة الى خطاب رقيق يدعوه فيه لحضور حفل زواجه ... وفي هذا الحفل ، وبين الناس وأمام عروسه ، سيبوح بكل شيء ...

ولكن حفل زواجه كان عملا اجتماعيا بحتا حددت وقته وطريقه والمدعوين فيه ظروف عربية لم يخطر بباله يوما أن تظهر فجأة لتتدخل في شيء كهذا ، وبهذه القوة ، وزاد المشكلة تعقيدا أن احـدى الصحف نشرت خبر زواجه ، وفكر ان صديقه ربما قرأ الخبر وربما ظن انه لم يعد له مكان في حياته وعادت فكرة الرسـالة الطـويلة الشقة تحتـل مكانها في رأس سمير ، فحمد الزواج ستهدأ حياته ، سيكون له بيت ، وحين يعود اليـه لن يكون مجـرد جثـة ، وسيكتب الرسـالة ، وستكتبها معه زوجته ، وسيدعوان صديقه لزيارة خاصة ... و ...

***

وفتح الباب ودخلت عـايدة ... وقالت بصوت مضطرب :

ـ « ناهد » حرارتها مرتفعة ... !

ـ كيف ؟

ـ حين نامت كانت طبيعية ، ارخت عنهـا الغطاء ... حاولت أن أعيده وجدت جسدها ملتهبا

ـ ربما احدث بردا ... السـاعة الثامنة ... يمكنك أن تدعي لهـا للدكتور .

ـ ألا تأتي معي ؟

ـ لا بد أن افرغ من هـذه الرسالة !

ـ كنت اعتقد أنك انتهيت منها ؟؟

ـ لا اظن أن حالة ناهد تدعو للقلق

... ولكن الأفضل أن تذهبي بها للطبيب ... !

وخرجت عايدة ... وخرج معها فقط ليطمئن على ابنته قبل أن تذهب بها للطبيب ... !

***

وعاد « سمير » ليكتب الرسالة ... حاول أن يطالب القلق الذي بدأ يحس به بعد أن خرجت زوجته ... لقد تخلص من كل شيء في هذه الليلة ليتفرغ من كتابة هذه الرسالة ، تخلص من أصدقائه ومن مواعيده ... ولكن هاهي ابنته ترتفع حرارتها فجأة ... دائما كان هناك شيء يحدث فجأة ، فيدفع بتلك الرسالة الى الغد ... ! الى وقت آخر ، ولكنه لن يسمح لشيء مهما يكن أن يعوقه هذه الليلة ... ! واشعل سيجارة جديدة راح ينفث دخانها بعصبية هذه المرة ... ! أحيانا كثيرة كانت تعوق هذه الرسالة أشياء صغيرة ليست أبدا مثل مرض ابنته ... ! أشياء لا يستطيع المرء أن يذكرها أمام أحد ـ غير نفسه ـ كموعد اعتذار ... أشياء مثل زائر يأتي بلا موعد ، أو دعوة مفاجئة من صديق للمسرح ، او سؤال عابر من زوجته يتحول الى ثرثرة ، او خبر تقع عليه العين في صحيفة قديمة فيجرنا الى قراءة اشياء لم نكن نهتم أبدا بها ... !

وأحيانا يكون الملل الذي يهبط فجأة فيجعد كل شيء !!

ولكن هذه الأشياء الصغيرة ما ان تقع ... ما ان تصبح جزءا من المكان والوقت حتى تدفع بكل ما عداها الى مكان وزمان آخرين !

اي قوة تكمن في هذه الاشياء الصغيرة ؟ خلال هذه الاعوام كان يبصر هذه الأشياء ، وهي تتسع في تتابعها البطيء حيوط حياته وتعطي هذه الحياة لونها وطابعها ومعناها ... ! وخلال هذه الأعوام كانت الأحداث الحقيقية ... الأحداث التي يمكن ان يقولها للناس كاعتذار عن شيء أو سبب لشيء ... هي وحدها التي تبدو كأطواق النجاة ، فحين أحرق زوجته جراحة خطيرة وهي حامل في ابنته « ناهد » ، وحين أصيب هو في حادث سيارة ، وفي كل مرة سافر في رحلة صحفية أو اجرى كتابا ... في كل هذه المرات كانت الرسالة الطويلة تجد مادة خصبة ، وكانت تملأ رأسه في كل مكان ... في الأتوبيس وفي الطريق ، في المستشفى وفي مكان العمل ... ولكن ما يكاد يجلس الى مكتبه حتى يكون هناك شيء مطلوب غدا أو بعد ساعات ... ! شيء وراءه شخص يتكلم ، أو يدق جرس التليفون ، شيء يدفع بتلك الرسالة الى الغد ، فصديقه هناك ينتظر وكأنه لن يمل أبدا هذا الانتظار ، وكأنه لم يعد في حياته سوى ان يقرأ هذه الرسالة ... ليصدق كل كلمة فيها ، ليهدأ ليقتنع ... ! ليفهم كل شيء !! صديقه هناك في مدينة «س» ولن يقابله مصادفة في الطريق ليعاتبه ... ! صديقه لم يطرق الباب بعد ، ولم يدق جرس التليفون ، وهو وحده دون كل الأصدقاء يبدو بلا صوت ، وبلا ملامح تعصب أو تعجب صديقه يتحول الى فكرة أو امنية ، ويشحب أحيانا كما تشحب الأفكار والأحلام ويختفي من رأسه فجأة كما تختفي فكرة كانت تطاردنا في كل لحظة ، ولكن ـ ويحدث ذلك فجأة أيضا ـ يظهر

صديقه وعاليا ما يحدث ذلك في اللحظات التي يوشك فيها ان يشغل النوم الى عينيه ... ليقول له ...

« ان رسالتك وصلتني ولكني لم افهم منها كلمة واحدة انا في مدينة « س » نتكلم لغة أخرى غير لغتكم وان لي هناك أصدقاء أفهم لغتهم ، وان رسالتك لم تكن ناقصة »

في هذه المرات كان سمير يفكر بان الرسالة الطويلة لن تجدي وأنها لم تعد أبدا في مستوى الموقف ... وأنه اذا كان يريد حقا ان يسترد صديقه فلا بد أن يسافر الى مدينة « س » في احدى الاجازات، وأن يقابل صديقه ، وفي مثل هذا اللقاء يمكن ان نجدا لغة مشتركة ، وأن نذللا معا الصعاب التي لا تشك لحظة واحدة في وجودها ...!

وكانت هذه الفكرة تمنح « سمير » راحة نفسية تنتهي بمجادة مع بداية الاجازة التي يكتشف في كل مرة انه لم يكن ينتظرها وحده ... فهناك أناس آخرون ينتظرون ، وفي مدن أخرى كثيرة ، هناك أبوه وأمه ... وأسرة زوجته ... وشقيقته الوحيدة المتزوجة ، ويعود «سمير» من الاجازة، وتعود فكرة الرسالة الطويلة تحتل مكانها في رأسه ليس هناك من حل آخر ، انها الخيط الوحيد الذي لو ضاع من يده لفقد صديقه الى الأبد ...!

ويصبح لهذه الرسالة دوافع جديدة وغريبة ... لم يعد كل ما يهمه أن يسترد صديقه ...! بل ان عليه ان يكتب الرسالة لكي يسترد احترامه لارادته ...! من أجل أن يشعر انه قادر على أن يفعل شيئا يقف في وجهه جميع الأشياء ...!

من أجل أن يفقد نفسه من سؤال لا يدري كيف انفجر ذات مساء في رأسه ؟

هكذا دون مقدمات وجد نفسه وجها لوجه امام هذا السؤال ! هل هو حقا يريد أن يكتب رسالة لصديقه ؟ واذا كان يريد ذلك فلماذا لم يكتبها ... اصل لماذا لم يكتب تلك الرسالة ؟ هكذا كان يأتي السؤال دائما ، وكأنه صادر عن شخص آخر لا يعرف شيئا عن ظروفه أو بعبارة أدق لا يعترف بها ...!

وفي تلك اللحظة الغريبة كان كل شيء يبدو له زائفا ولا معنى له ... حياته ... وعلاقاته ... وكل ما يعمل ...!

كان من الممكن لولا مصادفة صغيرة أن يكون هو في مدينة « س » بدلا من صديقه، وكان يتصور نفسه هناك وحيدا وبعيدا ينتظر تلك الرسالة التي لا تصل أبدا ، ويحس بهذا الانتظار وهو يتحول مع الأيام الى كراهية عميقة لهذه الرسالة، ورفض كامل لكل ما تحمل ، بل ورغبة في تمزيقها ، وتمزيق اي صلة بالحياة خارج مدينة « س » ... وكان يحس أن مدينة « س » ليست بعيدة عنه بالدرجة التي يتصور ، وانه من الممكن في أي وقت من حياته أن يصبح من رعاياها ، رغم وجوده في القاهرة وأنه في هذا الوقت تصبح مثل هذه الرسالة الشيء الوحيد الذي يجعل المرء قادرا على أن يواصل الحياة ، أجل فالمرء لا يحس أن حياته متصلة، وأنها حياة شخص واحد، الا من خلال شعوره بان هناك شيئا يمكن أن يبقى دائما رغم كل الظروف ، شيئا نتلفيه ونطمئن اليه ، شيئا لا يتغير خلال الزمن ...!

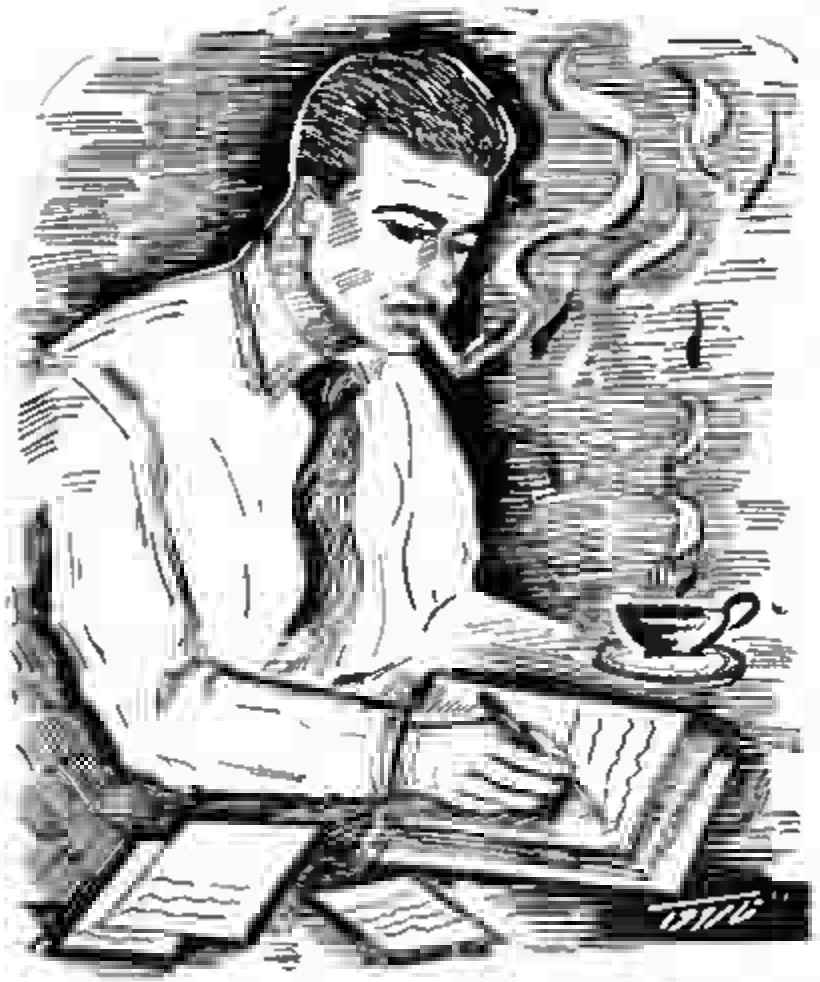

وأمس فقط ، صاغت الفرصة الوحيدة لكى يصنع باختياره هذا الشيء ..!

كان ذلك حين زاره صديقه «رءوف» الذى عاد لتوه من مدينة « س » حيث اقيم بها معرض للكتاب العربى .. قال رءوف :

ـ هل لك أصدقاء فى مدينة س ؟

اجاب سمير وهو يدارى قلقه :

ـ نعم !

قال رءوف :

ـ قابلت هناك مجموعة من الاصدقاء، كان معهم أشخاص لا اعرفهم .. جاءت سيرتك .. تحدثوا عنك بحماس كان بينهم شخص ظل صامتا طول الوقت سألته ..

ـ ألم تقرأ شيئا للأستاذ ؟

أجاب :

ـ جميع كتبه !

ـ لم تقل رأيك فيه ؟!

ـ ماذا يهم رايي للأستاذ جمهور كبير لن أريده او أنقصه ..؟

ـ ولكني مهتم برأيك فهو صديقي واريد أن اطلعه جميع الآراء في كتبه ..

ـ أنا أيضا كنت يوما صديقه ، فهل ترى هذا شيئا هاما ؟

لم أدر كيف أجيبه ؟ شعرت أن في الأمر شيئا ... قلت محاولا انهاء الحديث

ـ هل تريد أن أبلغه أي كلام ؟ قال سمير لا مبالية

ـ سلامي !

***

وجد سمير نفسه بعد سماع هذه القصة يعيش في دوامة قاسية اصبح معها عاجزا عن أي شيء .. عاجزا حتى عن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفعله منها .. عن كتابة رسالة الى صديقه .. وفكر في هذه الليلة انه من المستحيل ان ينظم افكاره المضطربة في رسالة طويلة ، ومع ذلك فلابد أن يصنع شيئا شيئا بسكت له هذا الصحيح الهائل الذي يمزق رأسه ، ولاحت له فكرة الرسالة القصيرة كطوق النجاة .. المهم ان يكتب أي شيء .. أي سطور ... المهم أن تمتد يد ، أن تتحرك شيء في هذا الفراغ ، أن تنبض كلمة أي كلمة ... ربما لو فكر منذ سنين ان يكتب رسالة قصيرة لكتب عشرات الرسائل ... ولما وجد نفسه يواجه هذا الموقف الصعب .. سيعتقد صديقه و هو ، ان هذه الرسالة ما كانت لتصله ابدا لو لم يحدث هذا اللقاء الغريب بينه وبين رءوف .. ومع ذلك فلا بد من كتابتها ... والاستسلام

الأمر اكثر فظاعة لو أن هذا اللقاء لم يثمر سوى الصمت ..

***

أشعل «سمير» سيجارة جديدة ... كانت علبة سجائره أوشكت النفاد قبل ان يكتب حرفا واحدا ... لا بد أن زوجته ستحضر الآن .. من الضروري ان يفرغ من هذه الرسالة قبل أن تصل ... وأمسك بالقلم في عصبية وراح يكتب .

« عزيزي ه

لا أدري كيف أبدأ هذه الرسالة ؟! وكيف أجعلك تصدق انني بعد فارقتك ... أعني بعد أكثر من خمسة أعوام وأنا أحاول أن أكتب اليك خطابا طويلا يوضح كل شيء ... ولم تشهد هذه الأعوام سوى فشل في تلك المحاولة ! ولهذا فلا أريد أن أكرر هذا الفشل لأنني حريص على أن يصلك هذا الخطاب بأي ثمن ... سأحاول هذه المرة يا صديقي أن أكتب لك سطورا قليلة .

توقف سمير عند هذا الحد ... أعاد قراءة ما كتب ... لم يستريح لهذه البداية ... كيف يمكن أن يحس بها صديقه ؟ لا بد أن يستمر في كتابة الرسالة بأي ثمن ! لماذا تبدو الحقيقة صعبة التصديق الى هذا الحد ! ثم عاد يكتب

« أريد ان أقول لك ... ثق ان كل شيء لم ينته بعد ... لا الوقت ولا صداقتنا ولا الرغبة في أن نعيد مايمكن انقاذه ... انني أمد يدي اليك فلا تتركها معلقة في الهواء حاول أن تمد يدك ... وثق انه بين يدينا ستدب الحياة في أشياء كثيرة » .

نفس ، سمير ، وارتياح حين كتب هذه السطور ، الدوامة التي تدور في رأسه تتوقف فجأة ... لو لم يكتب حرفا واحدا بعد هذه السطور لكفى !!

اعاد قراءة ما كتب مرة ثانية وثالثة وفي المرة الرابعة وكانت عيناه تتوقفان عند هذه الكلمات ... « ثق أن كل شيء لم يبته بعد ... ان بعد ما يمكن افقاده ... أبعد يدى الباكء ألا يمكن ان يكتب كلمات أخرى غير تلك التي يبدو خلالها كمقد لا يريد أن يضيع وقته ووقت من يحتاج الى عونه ! وعبثا حاول أن يجد في رأسه كلمات أخرى ... لم يجد سوى الصحيح الذى عاد يدق رأسه مع أول احساس بالضيق من كلمات الرسالة !!

وحين دق جرس الباب ، وجد نفسه ينتفض في فزع وكأنه يريد ان يسكت الدق !!

فتح الباب ودخلت زوجته

ـ كيف حال ناهد ؟ ـ وحملها بين ذراعيه ـ ماذا قال الدكتور ؟

ـ اشتداء في حمى معوية ... قالت زوجته هذه العبارة وهي تضع لفافة الدواء على المنضدة

ـ كم تكلف الدواء ؟

ـ ثلاثة جنيهات !

حمل ناهد الى سريرها قالت زوجته وهي تسوى حولها الغطاء ..

ـ سينكرر لدواء وسنحتاج الى نقود ... حاول أن تكتب القصة في موعدها !!

***

جلس سمير الى مكتبه ... أشعل السيجارة الأخيرة ... كيف يمكن أن يكتب قصة وراسه ينتفض كالمحموم ، كيف يستطيع ان يسكت هذا الصحيح ليفكر في مشكلة وشخصيات تتصارع مع هذه المشكلة ... وأن يتفعل بهذا كله ويكتبه !!! هو الذى يعجز عن أن يسير سطورا في رسالة صديقه!! وفجأة لمع في راسه خاطر بدا له غريبا في أول الأمر لماذا لايكتب قصة عنوانها «رسالة» ... لن يحتاج الى البحث عن مشكلة او شخصيات ... ليس أمامه سوى أن يمسك القلم ويكتب ويكتب !!!

وفكر انه لو نجح في كتابة هذه القصة ، فسيستريح دون شك وسيكف هذا الصحيح الذى يمزق راسه ، ومن المؤكد انه سيصبح قادرا على أن يكتب لصديقه رسالة حقيقية اذ ليس من المعقول أن تكون هذه السطور السخيفة، هي ما ينتظره صديقه بعد كل هذه السنين !! لا بأس ان يؤجل الرسالة الى الغد ... لن تتأخر عن الغد بأى حال ، فمن الضرورى أن تصل لصديقه قبل ان تنشر القصة في نهاية الأسبوع!

***

وفجأة بدت ملامحه وكأنه يشاهد منظرا بشعا للغاية ... وكأنما اختفى المنظر فجأة حين ارتخت تلك الملامح بينما ظلت عيناه وحدهما تحدقان في فراغ الحجرة ، وكان من يراه في تلك اللحظة يخيل اليه أنه يتابع بعينيه حلقات الدخان المتصاعد من سيجارته التى تحترق وحدها وكأنه يريد أن يعرف أين يذهب هذا الدخان !؟ وكيف يصبح هكذا بعد لحظات وكأنه لا شيء !